حطبت قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للامام المستضي بامر الله امير المومنين وكان السبب في
ذلك ان صلاح الدين يوسف بن ايوب لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له وضعف امر العاضد ولم يبق من
العساكر المصرية احد كتب اليه الملك العادل نور الدين محمود يامره بقطع خطبة العاضد واقامة الخطبة
العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب اهل مصر وامتناعهم من الاجابة الى ذلك لميلهم الى دولة المصريين فلم
يصغ نور الدين الى قوله وارسل اليه يلزمه بذلك الزاما لا فسحة له فيه واتفق ان العاضد مرض وكان صلاح الدين
قد عزم على قطع الخطبة فاستشار امراءه كيف الابتداء بالخطبة فمنهم من اقدم على المساعدة واشار بها ومنهم من خاف
ذلك الا انه لا يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر رجل اعجمي يعرف بالامير العالم وقد رأيناه
بالموصل كثيرا فلما راى ما هم فيه من الاحجام قال انا ابتدي بها فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب
ودعا للامام المستضي بامر الله فلم ينكر احد ذلك فلما كان الجمعة الثانية امر صلاح الدين الخطبا بمصر والقاهرة بقطع
خطبة العاضد واقامة الخطبة للامام المستضي بامر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر البلاد
المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه اهله واصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي
ان ننغص عليه هذه الايام التي بقيت من اجله فتوفي في يوم عاشورا ولما توفي جلس صلاح الدين للعزا واستولى
على قصره وجمع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بها الدين قراقوش وهو خصي يحفظه قلت
قد تقدم ذكره في ترجمته ايضا قال وجعله كالاستاذ دار للعاضد يحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل اهل العاضد
الى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل اولاده وعمومته وابناهم في ايوان من القصر وجعل عندهم من يحفظهم واخرج من
كان فيه من العبيد والاما فاعتق البعض ووهب البعض وباع البعض واخلى القصر من سكانه واهله فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره
مر الايام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد ارسل يستدعي صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما
توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان ابتدا الدولة العبيدية بافريقية والمغرب في ذي الحجة سنة تسع وتسعين
ومائتين واول من ظهر منهم المهدي ابو محمد عبيد الله وبنا المهدية وملك افريقية كلها قلت هكذا ذكره
ابن الاثير في تاريخ استيلاء المهدي عبيد الله على افريقية والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته فيكشف منه قال ولما
مات المهدي عبيد الله قام بالامر بعده ولده القائم ابو القاسم محمد ثم ذكرهم واحدا واحدا حتى انتهى الى العاضد المذكور قال
وانقرضت دولتهم فكانت مدة دولتهم مائتي سنة وستا وستين سنة وكان مقامهم بمصر مائتي سنة وثماني سنين وملك منهم
اربعة عشر وهم المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ
والظافر والفائز والعاضد اخرهم قلت وقد ذكرت كل واحد منهم بترجمة مستقلة في هذا الكتاب فمن اختار

الوقو

246

الوقوف على احوالهم فليطلبه في اسمه ولا حاجة الى ذكره ههنا قال شيخنا ابن الاثير وقد اتينا على ذكر
ما اجملناه مستقصى في التاريخ الكبير يعني كتابه الذي سماه الكامل وهو مشهور ومن انفع الكتب في بابه قال لما
استولى صلاح الدين على القصر واموالها وذخائره اختار منه ما اراد ووهب اهله وامراءه وباع منه كثيرا وكان
فيه من الجواهر والاعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك وقد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه
القضيب الزمرد طوله نحو قبضة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط
الجيدة نحو مائة الف مجلد ولما خطب للمستضي بامر الله بمصر ارسل نور الدين اليه يعرفه ذلك فعمل عنده اعظم محل
وسير اليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي اكراما له لان عماد الدين كان كبير المحل في الدولة
العباسية وكذلك ايضا سير خلعا لصلاح الدين الا انها اقل من خلع نور الدين وسيرت الاعلام السود لتنصب على
المنابر وكانت هذه اول اهبة عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العبيديين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الاثير
قلت لما وصل الخبر الى الامام المستضي بامر الله ابي محمد الحسن بن الامام المستنجد وهو والد الامام
الناصر لدين الله بما تجدد من امر مصر وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها عن مصر هذه المدة الطويلة
عمل ابو الفتح محمد بن سبط التعاويذي المقدم ذكره قصيدة طنانة مدح بها الامام المستضي بامر الله وذكر
هذه الفتوح المتجددة له وفتوح بلاد اليمن ايضا وهلاك الخارجي بها الذي سمى نفسه المهدي وذلك في سنة احدى
وسبعين وخمسمائة وكان صلاح الدين قد ارسل له من ذخائر مصر واسلاب المصريين شيئا كثيرا واول القصيدة

قل للسحاب اذا حدته ريح الجنائب فارجحن ... عج باللوى فاسفح بدمعك للمعاهد والدمن
يا منزل الانس الجميع وملعب الحي الأغن ... سكنت بك الآرام من بعد الأحبة والسكن
اين استقلت بالحبيب ركابه ومتى ظعن ... شوقي الى زمن الحمى سقي الغوادي من زمن
شوق المغرب شردته يد البعاد عن الوطن ... ولقد عهدتك والزمان يشملنا بك ما فطن
وثراك ما اعشبت مساربه وما اوكف ما احتن ... وظباؤك الاتراب لي وطن وتربك لي وطن
لام العذول وما دري وجدي وبلبالي بمن ... وجدي بمن فضح القضيب واخجل الرشا الأغن
ما ضر من هو فتنتي لو كان يرحم من فتن ... دمعي طليق في محبته وقلبي مرتهن
يا محتمي اودى الصدود بعاشق بك ممتحن ... غادرته وقفا على العبرات بعدك والحزن
كلف الفؤاد معذب بين الاقامة والظعن ... عطفا على قرح الجفون بعيد عهد بالوسن
لا تبخلي فالبخل يذهب نضرة الوجه الحسن ... ولرب ليل بت فيه ضجيع باطنه وذن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)